وومضت الأضواء الصّافية المحيطة بلافتة الشّركة العالمية للتجارة.

تملكته رغبته الحارقة في التدخين، وقام من مقعده، لكنّه سرعان ما عاد للجلوس ومدّد ساقيه أمامه، وتذكّر أنّ الانفجارات في أنحاء المدينة قد تزايدت في الآونة الأخيرة. كان يكاد يحصيها وهو مستلق في فراشه أسفل النّافذة المطلّة على غابة المآذن قبل أن يغادره إلى لقائه المرتقب.. وعلى الرّغم من كلّ ذلك، فها هو صاعد لم يستمع لمن حاولت إغواءه.

واضطرّ للاستسلام لجلسته. كان يبغي النّهوض والانطلاق للمثول بين يدي المدير، وراح يقلّب الأمر على وجوهه: هل يقتحم الحجرة المغلقة دون استئذان؟ وإذا كانت السّكرتيرة تقعي على مكتبها فهل تمنعه؟ إنّ باستطاعتها أن تكبّله بمجرّد النّظر، فهل يحرص على تجنّب عينيها سواء كانت ترتدي نظّارتها أو كانت قد خلعتها بتلك الحركة التي تتصوّر أنّها بالغة الرّشاقة؟

قال لنفسه أخيراً: على أيّ حال، لقد صمدتُ حتى الآن، ولم أغادر موقعي، ولم يغلبني النّوم والرّغبة في التّدخين والخوف والجنون.

القاهرة

حكايات قصيرة جدّاً

ثائر زكي الزعزوع

١ ـ حكاية رجل

سار الرّجل على الرّصيف، بمحاذاة النّهر، بين الجموع الكثيرة وقت الظّهيرة، أواخر شهر نيسان الفائت، وكان جائعاً... لأنّه مفلس... لأنّه يفكّر...

٢ ـ يسقط

وقف الرّجل في المقهى وصرخ: يسقط. ردّد الجميع: يسقط. في اليوم الثّاني، وقف الرّجل نفسه وصرخ: يسقط. ردّد الجميع: يسقط. في اليوم الثّالث، سقط الصّرصور الّذي كان معلّقاً بشبكة عنكبوت على السّقف.

٣ ـ الحالم

بعد أن دفنوه، وبكوا عليه كثيراً، عادت زوجته إلى البيت ونامت مع أولادها بعمق. لقد كان يضحك بصوت عال، وكانت أحلامه صاخبة، ضاحكة، فلم ينم البيتُ كُلُّه.

٤ ـ تقليد أعمى

كان أبو مهنّد حكيماً. ثمّ مات فجأة وبدون مقدّمات. هكذا قال المعلّم لتلاميذه. بعد يومين.. قالوا إنّ المعلّم مات فجأة وبدون مقدّمات.

٥ ـ الطّفل والملك

هدم الملك المعبد ونظر إلى النّاس بتحدّ. ثمّ خطب فيهم خطبة نهى فيها عن عبادة سواه. هزّ الجميع رؤوسهم موافقين، إلاّ طفل صغير.. كان يحمل الصّليب ويرفعه إلى السّماء.

٦ ـ العيد

كانت المدينة تحتفل، وكان الخطباء يكبّرون في الجوامع. كلّ النّاس كانوا فرحين، يرقصون، ويجهّزون الحلويات والألبسة. وكان الحاكم يجهّز الجيش، سرّاً، لحرب جديدة.

٧ ـ المطر

قال العاشق لحبيبته: المطر يبلّل أرواحنا، ويجعلنا أقرب إلى الطّهر.

قال الفلاّح لزوجته: المطر يروي الأرض، ويزيد

المحصول.

قال الفقير لأولاده: صلّوا إلى الله كي يتوقّف المطر، فهو يجعل الغرفة ترشح فوقنا بشدّة.

٨ ـ مناضل

قال المحقّق: تعترف بأنّك توزّع المنشورات، وبأنّك رئيس خليّة ودبّور فحل، وبأنّك أنت الّذي قمت بكتابة الأوراق الّتي وجدت مع المتهمين. ومع هذا كلّه تقول بأنّك أميّ لا تجيد القراءة أو الكتابة.

دمشق / ٣/ ١٩٩٤

القطّة الغارقة في النعاس

نبيل نعوم

بدا على وجهها الإرهاق، وظهرت التّجاعيد الهيّنة حول العينين والفم.

«لم أنم لعدّة ليال». قالت ساندي لبرت حين وصولها، مازالت ساخطة على نفسها، وعلى عذابها بسبب هجر مراد لها. كيف ارتبطت به كلّ هذا الارتباط؟ كيف عاشت وَهْمَ استمرار علاقتهما؟ مراد الّذي ظنّته أحد العابرين على سكّتها، أحد الذين لم يتوقّفوا عن عرض أنفسهم عليها في كلّ ليلة. وهي المثقّفة الثّوريّة التي رحلت بين جامعات العالم تُدرِّس التاريخ السّياسي، كيف صارت حياتها متوقّفة عليه؟ لا تكاد تصدق نفسها، ولكنّها تصدّق جسدها الذي عشقه. يلفت نظرها في أوّل الأمر بتحمّسه للنّظريات الاشتراكية التي تبدّلت، وظلّت بواكير تنظيراتها عالقة برؤوس أجيال متلاحقة في دول العالم الثّالث. بل ألم يُثِرْها هذا المَزْج بين البراءة والمثاليّة المتحجّرة؟ ثمّ، ثمّ فجأة، قرّر الزّواج من مصرية. ومن مَنْ؟ من فتاة لا تمثّل بالنّسبة لها سوى التفاهة. تعرفها خلال دوائر العلاقات المتشابكة. كثيرة الكلام فيما لا تعرف. فخورة ببعض الملاحة التي لا تقارن بجمالها هي، أو حتّى بكثيرات من المصريات الأخريات. اسمها دوللي. يا له من اسم لمصرية! فجأة يقرّر الزّواج، وقطع علاقته بها. وها هو شهر يمرّ دون رؤيته، فقد رحل مع زوجته لقضاء شهر العسل.

في البداية ظنّت أنّ ألمها سببه الغيرة، أو الخسارة، أو المنافسة، أو الصدمة، أو الكبرياء، ولكنّها، وبمرور الأيّام، اكتشفت أنّه بسبب حرمان جسدها منه.

ولإحساسها بالحاجة للكلام مع صديق يفهمها، فَقَدْ قرّرت زيارة برت الذي يدرِّس معها بالجامعة الأمريكية. وإن كان من أقلّ الذين بإمكانهم مساعدتها، فهو، وحسب الصورة المعروفة عنه، قد ملّ الحياة الاجتماعية، واعتكف مكتفياً بكأسه، وبعض القطط التي وجد في صحبتها تعويضاً عن متاهات العلاقات الإنسانية. إلاّ أنّه يجيد الإصغاء.

عند وصولها سألته أن يفتح بعض النّوافذ، فرائحة الحيوانات ـ بسبب طول معاشرته لها ـ لم يعد بقادر على إدراك مدى قبحها.

لم يكن برت على استعداد لقضاء تلك الأمسية معها، فهو مدرك منذ أن طلبته تليفونياً، أنّ عدة ساعات من وقته ستضيع في الاستماع لقصّة قديمة ومكرّرة. قصّة ليس لها من حلّ سوى النّسيان، أو الانتحار، أو الانغماس في علاقة جديدة. بالطّبع باستبعاد الحلّ الأمثل، وهو الابتعاد عن منبع تكرار الألم. رفض الغول الكامن في بطن كل فرد: الشّبق النّهم للجنس.

أوسع برت لها مكاناً على الأريكة المغطاة بالكتب والمجلاّت والجرائد، والوسائد التي مزّقتها مخالب قططه.

مباشرة، دون تأجيل، فهي عاجزة عن احتمال الألم، سألته إن كان بإمكانها البكاء. نظر إليها وعلى وجهه تعبير، تصوّر أنّه المناسب في مثل هذه المواقف، وأخبرها أنّها تستطيع أن تبكي كما تشاء.

انفجرت ساندي باكية، فهي طوال المدّة السّابقة لم تستغلّ هذه الوسيلة المريحة للتنفيس عن مشاعر ضيقها. لكن شيئاً في نظرته كان مضحكاً. محاولته التّظاهر بالجدّ الذي لا يتّفق مع ملامح وجهه التي تعبِّر عن اللامبالاة. ضاقت عيناه، وزُمَّت شفتاه حتّى كادتا تختفيان. لم يكن برت دميماً، ولكن وجهه كان وجه مهرِّج. لذا انتابتها نوبة ضحك اختلطت بالبكاء، فصارت تضحك وتبكي في آن واحد، وتحوّل المشهد بالنّسبة له إلى أداء رائع، يقارن بأداء كُبريات الممثّلات.

اغتنم برت هذه الفرصة، وتركها ليحضر زجاجة نبيذ وبعض الجبن، فهو لا يطهو. كما أنّ ثلاّجته لا تحتوي عادة سوى أكل القطط.

حين عاد، كانت ساندي قد أوسعت لها مكاناً على الأريكة، وتمدّدت، مغطية وجهها بيديها. بدا أنّها نَسِيَتْه، أو غرقت ثانية في أحزانها وشوقها وغضبها. انتبهت على صوت وضع الأطباق